

هكذا أشعلت واشنطن الحرب الأهلية [7]

ماذا كان الكولونيل مورغان يفعل في بيروت صيف 1975؟

يكشف كتاب صدر حديثاً في الولايات المتحدة دور واشنطن في السياسة اللبنانية في بداية الحرب الأهلية. الكتاب الذي يحمل عنوان «مهاجرين التدخل: السياسة الخارجية الأميركية وانهايار لبنان، 1967 - 1976»، يعتمد على الأرشيف الأميركي من سجلات وزارة الخارجية ودوائر استخباراتية وغيرها، ويظهر في صفحاته ضلوع واشنطن في إشعال الحرب الأهلية وإذكائها وكيفية تعاملها مع «حلفائها» في بيروت. في ما يأتي، الحلقة السابعة من السلسلة التي نشرها «الأخبار»

اسعد ابو خليل

إندلعت الحرب الأهلية اللبنانية بعلم مسبق من الحكومة الأميركية بنبأت ميليشيات اليمين اللبناني وخطتها. والافتراض أن خطط هذه الميليشيات كانت مستقلة عن خطط الحكومة الأميركية في لبنان يدخل في نطاق السذاجة المفرطة. فقد كانت الحكومة الأميركية قد أعدت - عن سابق تصور وتصميم - تسليح الميليشيات وتجهيزها منذ ما قبل اندلاع الحرب بستين على الأقل (قد يكون التسليح بدأ في عهد شارل حلو، إذ كانت طلبات التسليح ترد في كل لقاءات الزعماء الموارنة مع الدبلوماسيين الأميركيين. لكن الوثائق التي بين أيدينا تجزم بتاريخ 1973 لتسليح الميليشيات بالتعاون من الجيش اللبناني الذي أصبح مُشرفاً رسمياً - بإيعاز من واشنطن - على ذلك. كما ان تلك الميليشيات كانت تتلقى التمويل والتسليح من جهات خارجية أخرى كالنظام الشاهنشاهي الإيراني والأردن وحكومات أوروبية غير مُحددة).

وكان سركيس سوغانليان المسلح الأبرز لميليشيات «الأحرار» و«الكتائب» (باعتراف السفير غودلي). وكان يستعمل اسم الحكومة الأميركية في أعماله ومعاملاته (مما أزعج السفارة الأميركية في بيروت ربما لأنها كانت تريد ان يبقى التسليح سرياً أو لأنها لم تكن على اطلاع كامل على أعمال المخابرات الأميركية، وربما خشيت ان تؤثر مجاهرة سوغانليان على علاقتها بالأطراف المختلفة في لبنان). وفي 8 تموز حطت طائرة بوينغ 707 كان يملكها سوغانليان في مطار بيروت وأفرغت حمولتها في شاحنات ذات لون زيتي (ص. 151). وأبلغ سوغانليان شركة «بان أم» ان الحكومة الأميركية وافقت على استعمال معدّات «بان أم»، وان كل الوثائق المتعلقة بعملية النقل يجب

ان تُرسَل إلى السفارة الأميركية. وأبلغ السفير غودلي المدير العام للقصر الجمهوري بطرس ديب أن «الشحنة» ليست «من شأني» (ليست من اختصاص السفارة، بل من اختصاص أجهزة أخرى في الحكومة الأميركية). وأفادت مصادر المخابرات الأميركية ان الشحنة تضمّت بنادق كلاشنيكوف تم شراؤها من وارسو وشحنت عبر مدريد لصالح ميليشيا الكتائب. ويبدو من رد فعل السفير الأميركي انه كان هناك تضارب بين عمليات المخابرات الأميركية ومواقف الدبلوماسيين الأميركيين في سفارة بيروت. (كان السفير الأميركي في لبنان في أواخر السبعينات ريتشارد باركر لا ينظر إلى بشير الجميل إلا كـ «أزعر»، كما أخبرني في سنوات تقاعده في واشنطن، عندما عمل رئيس تحرير مجلة «ميدل إيست جورنال»، فيما كانت حكومته تعمل

وهو أبلغ السفير غودلي انه يأمل في أن يتلقى قريباً مساعدة من الأسد لإستبدال قيادة منظمة التحرير بقيادة جديدة «معتدلة ومسؤولة»، وأن ذلك من شأنه الاسهام في الاستقرار في لبنان. وأجاب غودلي بأنه لا يرى غضاضة في التقارب بين كل من النظام السوري والأردني واللبناني (كأطراف ثلاثة في معاداة قيادة المقاومة الفلسطينية). وكان الدبلوماسيون الأميركيون في المنطقة يرون في دور النظام السوري عنصراً إيجابياً.

كانت الميليشيات اليمينية - كما ينقل ستوكر عن رواية كمال الصليبي في تاريخه للحرب الأهلية والتقارير الأميركية عن الحرب - تسعى إلى إستجلاب التدخل الخارجي أو على الأقل تدخل الجيش اللبناني إلى جانبها. وكان قصف منطقة الأسواق

مع الحكومة الإسرائيلية على دعمه بقوة، وبالطبع زاد هذا الدعم في ولاية رونالد ريغان. زادت وتيرة طلبات التسليح من قبل ميليشيات اليمين. كما كانت الحكومات الرجعية في المنطقة تحث الحكومة الأميركية على مساعدة هذه الميليشيات. فقد أخبر وزير البلاط الإيراني أسد الله علم نائب السفير الأميركي في طهران أن السفير اللبناني في إيران خليل الخليل (ابن كاظم الخليل الذي كان يشغل منصب نائب رئيس حزب «الأحرار») طلب مساعدة من إيران لميليشيا «الأحرار». وهنا، استفسر علم من الدبلوماسي الأميركي ما إذا كان هناك مبادرات من قبل أميركا أو غيرها في هذا الشأن. وفيما لم تذكر السفارة الأميركية في تقريرها ما إذا تم الاستجابة لطلب الخليل، ذكر تقرير لوكالة الاستخبارات الأميركية ان الحكومة الإيرانية قدمت تسليحاً إلى «الميليشيات المسيحية». كما أشار السفير اللبناني في عمان إلى مساعدة عسكرية أردنية، لكن من دون توضيح طبيعتها.

الجديد، أو المُلغى، في الوثائق الأميركية هو الدور النشط للنظام الأردني في دعم ميليشيات اليمين اللبناني وفي الترويج للنظام السوري عندما باشر معاداة اليسار اللبناني والمقاومة الفلسطينية. والدور الأردني كان سرياً إلى درجة أنه لم يكن يرد حتى في أدبيات الحركة الوطنية اللبنانية آنذاك. فالنظام الأردني كان، ولا يزال، يخفي تأمره وراء ستار كثيف من الخطاب المتحفظ والمؤدّب (ظاهراً وشكلياً فقط). كما ان معارضة إتفاقية «سيناء 2» جعل العلاقة بين النظامين السوري والأردني أكثر دفئاً، ورأى الملك حسين في تحالفه مع حافظ الأسد فرصة لتقويض قيادة منظمة التحرير الفلسطينية.

ظل شععون والجميل ياملان بتدخل عسكري اميركي



في صيف 1975 جزءاً مهماً من هذا المخطط. وقد حاول شمعون إبلاغ السفارة الأميركية بنبأته إنزال الجيش إلى الأسواق (بحجة حمايتها بعد ان قدمت ميليشيات اليمين الذرية)، إلا أن السفارة الأميركية تنصّلت من قرار شمعون - على الأقل وفق تقارير السفارة. لكن طلب التدخل الأميركي لم يتوقف ومن جهات مختلفة. فقد دعا غسان تويني السفير غودلي إلى مائدة عشاء في منزله، وسأله (بتكليف من سليمان فرنجية بحسب قراءة غير برغرسون هوز للوثائق الأميركية في أطروحته الجامعية في جامعة أوصلو، ص. 41) ما إذا كان يمكن للحكومة الأميركية النظر في طلب «تدخل عسكري أميركي في لبنان» (ص. 155). وكان جواب غودلي (في تقريره) انه كان يظن ان تويني يعرف أميركا معرفة تتيح له الجواب عن سؤاله بنفسه. كما طلب تويني ان تصدر الحكومة الأميركية بياناً يؤيد «وحدة أراضي لبنان». لكن السفير ذكره بان الإدارة الأميركية في عهدّي فورد ونيكسون فعلت ذلك في رسائل إلى فرنجية. وفيما تعاملت الخارجية الأميركية مع طلب تويني (الثاني بإيجابية، كان رأي غودلي معاكساً لأن بياناً في دعم الاستقرار في لبنان «يمكن ان تُشجّع التعنّت المسيحي وسياسة حافة الهاوية من قلبهم». كما يمكن «أن يفهم كتهديد من قبل السوريين والمنظرين المسلمين اللبنانيين»). وقدر السفير أن «النشاط المسيحي اليميني يتحمّل مسؤولية تتعدى الخمسين في المئة عن تخجير الجولة الرابعة» (في صيف 1975) من الحرب الأهلية.

غذية غذائية

لكن قبل تفجير «الجولة الرابعة» توالى التفجيرات في مناطق مختلفة من لبنان، كطرابلس وزحلة، على يد الميليشيات الانعزالية. ولم يتطرق ستوكر في كتابه بتاتاً إلى قضية الكولونيل إرنيسست مورغان الذي خطف في لبنان في تموز 1975 وأطلق سراحه بعد 13 يوماً. الخطف تمّ على يد منظمة لم تعلن عن اسمها قط إلا في هذه العملية، هي «منظمة العمل الاشتراكي الثوري» (وهي غير «حزب العمل الاشتراكي العربي - لبنان»). وهذه المنظمة كانت قريبة من «الجبهة الشعبية - القيادة العامة» أو الريدف اللبناني لها، وكانت بقيادة «جابر برغل» (أبو العباس نفي في مؤتمر صحافي له «جبهة الرفض» آنذاك الصلة بين المنظمة وبين «القيادة العامة»، وإن أبدى تعاطفاً مع العملية). وطالبت المنظمة لإطلاق مورغان بقدية، هي عبارة عن أطنان من الرز والطحين وزيت الطهي ومواد غذائية أخرى وملابس داخلية وقمصان وسراويل وأحذية وإسمنت وحليب أطفال للفقراء في المسلخ والكرنيتين. وكعادتها، أصرت الحكومة الأميركية على موقفها المعلن برفض التجاوب مع طلبات الغدية من أي جهة كانت.

طائرات اميركية نقلت للكتائب اسلحة من وارسو عام 1973 وشمعون طلب سلاحاً من إيران

طلبت باريس من واشنطن دعم التدخل العسكري السوري والسماح لدمشق باستخدام القوة